الهجرة الاندلسية الى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن الديموغرافي في العصر الحديث

Andalusian immigration to Algeria and its impact on maintaining the demographic balance in the modern era

د/عبد القادر كركار *

جامعة الوادي

Kerkar-abdelkader@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/08 تاريخ القبول 2023/04/30 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص

تتناول الدراسة الهجرة الاندلسية الى الجزائر بداية أسبابها التي انطلقت من الاندلس الى نتائجها في الجزائر والتي كان لها دور في الحفاظ على التوازن الديموغرافي للبلاد، فأمام الضغط الصليبي أخذت الاسر الاندلسية التي تستطيع الهجرة تعبر البحر إلى عدوة المغرب الاسلامي في جماعات، ووجدوا احتضان لقضيتهم ومواساة لهم على ما فقدوه في ديارهم، بعد سقوط غرناطة.

وقد كان للعنصر الاندلسي أثر كبير من حيث النمو الديموغرافي في تعمير البلاد ولا سيما خلال أوقات المجاعات وانتشار الامراض المعدية والاوبئة، فمثل التواجد الاندلسي في الجزائر رافدا بشريا أثرى التراث الحضاري المحلي وأضاف عنصرا جديدا للتركيبة البشرية للمجتمع تمازجت مع بقية المجموعات.

الكلمات المفتاحية: الاندلس؛ غرناطة؛ الهجرة؛ توازن ديمغرافي؛ الجزائر.

Abstract:

* المؤلف المراسل

The study deals with Andalusian immigration to Algeria, its causes, and its results, which had a role in maintaining the demographic balance of the country, in front of the Crusader pressure and especially during times of famine and the spread of infectious diseases and epidemics, befor and after the fall of Granada.
The Andalusian presence in Algeria represented a human tributary that enriched the local cultural heritage and added a new element to the human composition of society that blended with the rest of the groups.
***Key words**:* Andalusia; Granada; Immigration; Demographic balance; Algeria;

مقدّمة:

كان للتواصل البشري بين عدوتي المغرب والاندلس دور كبير في ثراء النسيج البشري وتنوعه في الجزائر فمع انطلاق الموجات البشرية التي تشكلت من الجيوش الفاتحة التي انطلقت من الجزائر وبلاد المغرب عامة نحو الاندلس لإنقاذ الوجود الاسلامي هناك، كان في المقابل نزوح من الاندلس نحو بلاد المغرب في شكل هجرات فردية لعائلات وعشائر، فرارا من الاضطهاد الذي بداء يسلط على المسلمين الذين وقعت ديارهم في يد الاسبان.

وقد مثلت الاندلس على مر الوجود الاسلامي فيها منطقة التماس بين حضارتين مختلفتين تستمدان مبادئهما ومثلها العليا من الدين وتعاليمه، لذلك فلا غرو أن الوجه البارز لكلا المجموعتين البشريتين كان ذا طابع ديني، فهو تباين بين الملتين وصراع قوة حيث كلا الطرفين (إسباني-برتغالي والاسلامي) كان يستمد العون والمدد البشري من العمق.

وفي هذا الصدد فقد مثلت أوروبا المسيحية انطلاقا من مناطق نافار وليون وجيلقية العمق الاستراتيجي لتجنيد الفرسان والجنود بعد شحنهم بحقد صليبي ضد المسلمين، بإيهامهم أنهم يخوضون حرب مقدسة تستمد شرعيتها من مباركة البابا ودعواته وفي

الاصل كان الدافع الاقتصادي من أهم محركات هذه الحركة طمعا في خيرات الاندلسيين وثرواتهم.

هذا في الوقت الذي مثلت بلاد شمال إفريقيا العمق الاستراتيجي لمسلمي الاندلس فمنها انطلق الفتح وتوالت موجات الهجرات البشرية وإليها كان يلجأ من ضاقت به السبل وضاق ذرعا من توالي النكبات على أهله في الاندلس.

بداية انهيار الاندلس والهجرة نحو الجزائر

كان للفتح الاسلامي للأندلس وقع كبير على نفوس سكان أوروبا المسيحية حيث مثلت إيبيريا ومملكة القوط الغربيين مع ما تعبئة به من شحنة كبيرة من التعصب الديني القوة الضاربة لأروبا المسيحية، لكنها سرعان ما انهارت أمام ضربات الفاتح طارق بن زياد وموسى بن نصير، ولم ينسى الاسبان أبدا هذه الفاجعة التي ألمت بهم وهو ما جعل المتعصبين من رجال الدين المسيحي يشحنونهم باستمرار بحقد تجاه المسلمين من أجل طردهم من شبه الجزيرة التي أصبحت وطنهم بعد أجيال من الفتح.

غير أن قيام دولة إسلامية قوية من طرف الامويين في إيبيريا حرم المتعصبين من تنفيذ مخططهم، وفي المقابل فإن عدم استمرار حركة الفتح إلى أقاسي الشمال حيث الجبال الشاهقات في غاليسيا والبيريني والباسك جعل هذه المناطق قاعدة لمن رفض الاسلام وتمسك بالهوية الاصلية له، فكانوا مادة خصبة لقساوسة الكاثوليك لشحنهم ضد المسلمين عبر السنين.

ومع انهيار خلافة بني أمية في قرطبة وتفكك البلاد إلى دويلات حانت الفرصة أمام الممالك المسيحية التي قامت في الشمال لبداية ما سمي بحرب الاسترداد La Reconquista التي انطلقت من التخوم الشمالية للممالك الاسلامية فكانت حروب ومواجهات مستمرة بين الطرفين في وقت بدأ التوازن يختل لصالح المسيحيين تارة وللمسلمين تارة أخرى مع دخول المرابطين ثم الموحدين.

ورغم توالي سقوط بعض الحواضر الاسلامية في يد الاسبان إلى أن الهجرات الاندلسية كانت داخلية بالدرجة الاولى، فأهالي المدن الاندلسية التي سقطت في يد الاسبان غالبا ما كانوا يتوجهون للاستقرار في المدن الاندلسية المجاورة لاطمئنانهم إلى سيادة الاسلام في إسبانيا وأملا منهم في العودة إلى مدنهم يوما ما[1].

ففي الوقت الذي تفتت الخلافة الاموية إلى عدد كبير من الممالك المجهرية تتنوع حسب انتماءاتها العرقية، كان المسيحيين في شمال الجزيرة يتحدون عن رضا أو قسرا فحين توفي شانجه الثالث Sancho ملك ليون أخضع الملك القشتالي فردلند مملكة ليون (لقشتالة) فتوحدت بذلك المملكة[2].

في وقت توالت النكبات على المسلمين وتكالبت عليهم الامم وقد كان أفضعها مأساة مدينة بربنشتر وهي النكبة التي اهتزت لها الاندلس واعتبرت من أشد وأفظع ما حدث لما ارتكب فيها من أعمال وحشية مهاجمة النورمنديين للمدينة ونكلوا بأهلها بعد أن حاصروها 1064/456م بـ 40 ألف مقاتل [3]، في وقت تركت المدينة لمصيرها حيث أن ملوك الزمان كانوا أعجز من أن يدافعوا عن أنفسهم وهم من لقبوا أنفسهم بألقاب الفخامة والجاه من المؤيد والمستنصر والمتوكل فعانت المدينة ويلات الحصار، وقد دخلها النورمانديون واستباحوها بعد أن قطعوا عنها الماء و أطيح أرضا بـ 6 ألاف رأس واستعبدت الساكنة [4].

ولم تسلم حتى مدن الغرب حيث قامت بعد ذلك دولة البرتغال حيث سقطت قلنبيرة Goimbra في 456هـ 1064 م في يد فرديناند الاول[5]، وكانت النكبة الكبرى التي حركت بعض بقية النخوة لاتحاد ملوك الطوائف عند سقوط طليطلة في محرم 478هـ ماي 1085م مع اختلاف في اليوم[6] وهذا بعد حصارها ووضع حكامها أمام الامر الواقع ما أجبر سكانها على طلب الامان لاستحالة النجدة وإنقاذها، رغم بعض رد الفعل المحتشم من طرف المتوكل ملك بطليوس فدخل ألفونس السادس طليطلة بعد أن

أعطى أهلها الامان بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم وحرمة مساجدهم[7] فاستولى ألفونسو دون إراقة دماء على طليطلة 1085م[8].

لكن بعد شهرين فقط نقض هذه العهود وحول مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح وحطم المحراب ليقام الهيكل مكانه[9]، وقد مثل سقوط المدينة العاصمة القديمة للقوط قبل الفتح الاسلامي حادثة مبشرة للمسيحيين وبشرة خير في وقت بداء الشك يدب في الوسط الاسلامي ويوم حزن ونكسة جعلت الملوك يستنفرون قواهم خوفا على عروشهم بالدرجة الاولى في وقت كان السكان قد بداء اليأس يتسرب إلى عزائمهم منذ فترة حيث عبر الشاعر الاندلسي عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بعد سقوط طليطلة:

يا أهل الاندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط[10]

ولعل استنجاد المعتمد وبقية ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين مثل قمة الاتحاد لتغليب المصلحة العامة ظاهريا فكانت معركة الزلاقة بارقة أمل بعد طول يأس غير أن الزلاقة 22رجب 479هـ 20 نوفمبر 1085م رغم النتيجة الباهرة التي خلفتها لم تستثمر ولم تكن متابعة لهذا النصر إذ سرعان ما سئم يوسف بن تاشفين من انشقاق ملوك الطوائف[11].

واستغل المسيحيين فرصة الفوضى التي أعقبت هذا النصر الباهر ومرحلة التردد التي سادت في البلاد، فاستولوا على بعض المناطق حيث حاصروا بلنسية التي استسلمت سنة 487هـ جمادي الاول[12].

غير أن قوة المرابطين مكنت المسلمين من استرجاع المدينة التي دخلوها في منتصف رجب 1102/495م[13]، ثم واصلوا عزل الملوك الضعاف أسباب الهوان الذي حل

بالمسلمين الواحد تلوا الاخر لتوحيد البلاد تحت سلطة قوية وصولا إلى أقصى منطقة كانت في حوزة المسلمين في الشمال فتسلموا سرقسطة قصبة أل هود عقب وفاة ملكها 503هـ 1110م [14] ، إلى غاية سقوطها في يد ألفونسو المحارب 512هـ. 1118م[15]

وقد شهدت المدينة هجرة من سكانها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين(537هـ/1143م)، حيث حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل الجزر المرابطية من ميناء ألمرية إلى جزائر بني مزغنة رأسًا، واستقروا في هضبة مجاورة عرفت بعد ذلك إلى اليوم بحي الثغريين [16].

لكن بعد معركة حصن العقاب (لاس نافاس دي تولوزا) 15 صفر 609هـ /17 يوليو 1212م سقطت أبذة وبياسة[17]، وبدا الانهيار واضحا حيث استرجع الصليبيين ثقتهم مرة أخرى فاحتل رامون بيرنكير الرابع في قطالونيا مدينة طرطوشة ثم لاردة وألفونسو الثامن ملك قشتالة على (1158م/1214م) شلب ويابرة وطونكه[18]

وأمام الضغط الصليبي المستمر أخذت الاسر الاندلسية التي تستطيع الهجرة تعبر البحر إلى عدوة المغرب الاسلامي في جماعات ثم إن المحرك الأساسي للعلم، ونقصد به العلماء والأدباء باعتبارهم جزء لا يتجزأ من المجتمع، فقد كانوا من ضحايا الفتنة، فوقعة قنتيش 400هـ 1009م قتل خلالها الخيار من الفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين، كما فقد الغناء أسماء لامعة كالمغني زربوط الطمبوري، والملهي قنبوط حتى قال أحد الظرفاء.

ومن كل طبقة أخذت وقعة قنتيش لذلك فضل الكثير من العلماء والأدباء الرحيل والابتعاد عن ميدان الصراع طلبا للأمان، أمثال :خلف بن مروان الصخري ت 401 هـ/ 1010م وأحمد بن مطرف والكاتب أبا أمية بن هشام، كان حيا عام 414 هـ . 1023م، من وجوه قرطبة

ثم شن الصليبيون سلسلة حملات امتدت من عام 1231 فصاعدا سقط في أيدي المسيحيين قلب الاندلس الحقيقي وقد كانت الاحداث البارزة احتلال قرطبة عام

1236 وإشبيلية عام 1248 ثم تلا ذلك عمليات تطهير وبخاصة في الشرق يمكن القول بأنها دامت عشرين عاما [19] حيث اخذ الاراغونيون يقضمون من أطراف الجزيرة الايبيرية الشرقية ويستولون على سواحلها المتوسطية كان القشتاليون قد بدأوا يتوغلون في قلب الاندلس وبدأ الهجوم على قرطبة بعد سقوط ماردة وبطليوس وغادرها أهلها بعد سقوطها في 29يونيو1236م[20]

ثم استولوا على إشبيليا بمساعدة ابن الأحمر ملك غرناطة الذي سلم لهم جيان كعربون اتفاق وطوقت اشبيليا في 20اوت 1247 استسلمت في 23نوفمبر 1248 في يد فرديناند الثالث[21]

وقد خلف ذلك تدفق سيل من الهجرة الى بلاد المغرب ومنها الجزائر حيث كانت في البداية الجاليات الاندلسية من شرق الاندلس ثم حلت جالية من غرب الاندلس بعد سقوط اشبيلية فكانت الوفود كثيفة حيث وصفها ابن خلدون في مؤلفاته وظهر مصطلح (الجماعة الاندلسية) لأول مرة[22]

ولم تسلم جزر البليار من الغزو الصليبي فاقتحم النصارى بقيادة ملك اراغون خايمي الأول مايورقة[23] يوم الثلاثاء 1يناير 1230 م[24] حيث احتلوا الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي في وسط الحوض الغربي للبحر المتوسط ثم انطلاقا منها قادوا حملات مماثلة فاستولوا على يابسة في اوت 1235م [25]

أما في البر المقابل فقد بدأ حصار بلنسية في أوائل 1233 أعقبه استيلاء جاك الاول المحارب ملك أراغون على بلنسية 636هـ/ 1238م [26]وهو ما خلف هجرة نحو الجهة المقابلة من البحر أي جزائر بني مزغنة فأسسوا مدينة القليعة فيما بعد كما وفرديناند الثالث على إشبيلية 646هـ / 1248م[27].

ثم استولى خايمي الأول على جزيرة شقر ودانية في ماي 1244 ثم شاطبة 1246 ثم لقنت في 1247 م[28]

ورغم مهادنة المسلمين لملوك اراغون في جزيرة مينورقة فإن ذلك لم يشفع لهم حيث أراد الاراغونين استكمال الاستيلاء على كل جزر البليار فاستولوا على مينورقة التي حافظت على استقلالها طويلا في 1287 م [29]

بعد سقوط غرناطة وبداية الهجرة الموريسكية

بعد الحرب الضروس التي شنها الملكان الكاثوليكيان على مملكة غرناطة التي لم تصمد امام حصارهما واستسلمت حاول فرديناند المهادنة على أمل تنصير المسلمين سلميا واستغلال التعايش لفوائد اقتصادية وتفادي العودة للحرب وبذلك لم ينصت لدعاة التنصير القسري فانتهج سياسة مصالحة[30] كان فرانثيسكو خيمينيث دي ثيسنيروس من اكثر الشخصيات رمزية وتأثير في عصره وقد اختارته ايزابيلا عام 1492 ليكون كاهن الاعتراف الخاص بها فكان ((على هوس بالحرب أكثر مما يليق بأسقف)) حسب تعبير كاتب سيرته وبمغادرة ايزابيلا وفرديناند غرناطة الى اشبيليا بدأ في التنصير القسري بداية بالعلوج الذين تحولوا من النصرانية الى الإسلام[31]

وفي خلال ذلك كان المورسكيون يتتبعون باهتمام مدى النجاح الذي حققه العثمانيون وكيف دانت لهم كل من سوريا ومصر وخاصة الجزار التي أصبحت حصنا منيعا يلتجئ اليه المهاجرون الاندلسيون[32] وهذا ما شجع المورسكيين على الهجرة الى الساحل الافريقي المقابل هروبا من التنصير ففي الفترة الأولى قبل سقوط غرناطة لم يكن نصيب الجزار من العلماء ورجال العلم والثقافة مثل تونس والمغرب الأقصى وبعد سقوط غرناطة وبروز العثمانيين أصبحت الجزائر أمل المورسكين[33]

ففي ابريل 1502 أخبر البرلمان البلنسي فرديناند بأن الكثير من المسلمين كانوا قلقين من ان النصرانية سوف تفرض عليهم قريبا وبأنهم توقفوا عن العمل في الحقول وبدأوا يفرون الى شمال افريقيا ومن أجل منع المزيد من الخسائر وإقناع هؤلاء المسلمين بالعودة دعا النبلاء فرديناند الى طمأنة السكان المسلمين مرة أخرى بأن استقلالهم الديني

سيحترم[34] المورسكيون المطرودون لم يسمح لهم إلا بأخذ قدر محدود من أموالهم ويدفعوا نصف مدخراتهم وممتلكاتهم للتاج وملزمين بالمرور بمدينة برغش حيث كانوا يسجلون ويفتشون[35]

ومثل هذا القمع كان يشجع المهاجرون الى الجزائر على الانضمام الى المجاهدين في البحر للانتقام وغنم بعض ما سلب منهم فكان 500 موريسكي يحاربون مع عروج وخير الدين في اعمال البحر وقد تضاعف عددهم وكان على علم بميدان العدو وتحركاته وكانوا يجيدون لغته[36]

وتشير المصادر الاسبانية الى حملة ايدين واس وصالح رايس 1552-1556 في سنة 1529 والتي نقلت 600 موريسكي بلنسي اختاروا النزول بمدينة الجزائر والاستقرار بسهول متيجة ونواحي البليدة ودلس [37]

ويذكر لنا المؤرخ كاتب شلبي ان خير الدين تمكن خلال سبع سفرات ان يوجه 36 بارجة الى السواحل الاسبانية لنقل سبعين الف موريسكي خلال 1529م [38] ومع الوقت أصبحت الوجهة الجزائرية الأكثر استقبالا فقد كان من نتائج ثورة البشرات نزوح حوالي 30 ألف موريسكي الى الجزائر[39] وهي التي كانت تحمل قضيتهم كجزء من مسؤولية حكامها حتى ان في معاهدة بين الدولة العثمانية وفرنسا 21 مارس 1619 كان ضمن بنودها الأولى ان الاسرى المسلمين الذين يفرون من أراضي الأعداء ويلجئون الى فرنسا تعطى لهم حرية العبور الى الجزائر وتعطى الأوامر الى حكام المدن ومناطق حدود المملكة الفرنسية بعدم ارجاع وبيع هؤلاء المسلمين الى اعدائهم[40] وبذلك وفرت لهم الدولة العثمانية الحماية والممر الامن الى أراضيها واقرب هذه الأراضي التابعة اليها الجزائر .

مناطق الاستقبال التي حلوا بها في الجزائر وظروف استقرارهم

وجد الاندلسيون في المناطق التي نزلوا فيها احتضان لقضيتهم ومواساة لهم على ما فقدوه في ديارهم، فنزلت جاليات أندلسية من سرقسطة وألمرية وبلنسية واستقرت حوالي ثلاثمائة أسرة أندلسية هاجرت من قشتالة والأندلس ومن أهل الثغور من مملكة بلنسية، واستوطنوا مدن الساحل في المغرب الاوسط ، حيث استقروا في بعض المدن العتيقة فعرفت ازدهارا وغلب عليها طابعهم كمدن تلمسان، وهران، مستغانم، مازونة، تنس، شرشال، الجزائر، المدية، مليانة، دلس، بجاية، القل، عنابة، قسنطينة، وأنشئوا أخرى كالبليدة والقليعة فساهموا في بداية الجهاد البحري منذ منتصف القرن 14 بسبب الازمة السياسية والاقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط والتي كانت من اعظم عواملها هجرة مسلمي الاندلس الى شمال افريقيا واستقرارهم في المراكز الساحلية الى جانب مساهمتهم في تموين سفن المجاهدين بدافع الحماية من جهة وبدافع الانتقام من طردهم من وطنهم من جهة أخرى [41]

فتذكر المصادر مثلا ان بونة كان تجارها من الاندلسيين في عهد بني حماد[42] أما جزائر بني مزغنة فمنها يعبر الى الاندلس ومرساها مأمون أما تنس فقد وصفها الكثير من الجغرافيين بأنها عدوة الاندلس[43] حيث استقر بها عدد من مهاجري الاندلس في حين شهدت تادلس في عهد بني صمادح أول تمركز للأندلسيين وظهر ازدهارها الاقتصادي والمعماري[44] ثم كان بناء البليدة في 1535م[45] كأول مدينة أندلسية في الجزائر

كما كان المهاجرون في شرشال حوالي 5000 مسكن يكون نواتهم كل من الثغريين والمدجنون وفي القل أكثر من 300 من سكانها المسلمين الذين هاجروا من قشتالة والاندلس ومملكة بلنسية وكذلك القليعة ذات الطابع الموريسكي الأصلي والتي استقر بها في عهد حسن باشا 1546 – 1587 حوالي 300 عائلة من أصل مدجن وثغري [46]

ولم يكن التباين مع المجموعة الاهلية كبيرا ويذكر هايدو أن في 1580 كان في الجزائر حوالي 60 ألف ساكن جاء من إسبانيا نظموا في1533-1540م حملة ضد

جزر البليار لإحضار إلى شرشال والجزائر عائلاتهم وانخرطوا بسرعة في الجندية للدفاع عن المدينة ضد الاسبان وقد أصبحوا يسمون los tagarinosسكان الثغور وحسب مارسيي هم سكان الاراغون فقبل الطرد في 1609م مدينة الجزائر كان فيها من الاراغون، فالنسيا، كتالونيا [47]

فقد عرفت مدينة الجزائر خلال الحكم العثماني هجرة منتظمة من طرف الموريس كيين الذين وصل عددهم مع مطلع القرن 17 أكثر من 25 ألف موريسكي[48]

ولم تقتصر الهجرة الاندلسية على المسلمين فقط بل وحتى على ملل أخرى تعرضت أيضا للاضطهاد الكاثوليكي فخلال المحنة الأندلس وفدت على البلاد هجرات ضمت عـدد هام من اليهود الأندلسيين، عرفوا باسم الميغوراشيم Megorachim [49] فمع بداية سقوط حكم الإسلام في الأندلس؛ التي كان اليهود يعيشون فيها في أمان بإجماع كل المؤرخين تعرضوا للاضطهاد مثل بقايا المورسكيين من طرف رجال الدين الكاثوليك.

وأمام هذا الاضطهاد البشع اضطر الأندلسيون مسلمون ويهود إلى الهجرة لشمال إفريقيا بوسائل مختلفة، سرا وعلنا، فرديا وجماعيا[50].

وبالتالي الوجهة كانت واحدة بالنسبة للأغلبية من اليهود ففي الجزائر العاصمة استقر مجموعة من اليهود المايورقيين منذ 1287 سنة غزو البليار من طرف ألفونس دو أراقون Alphonse d'Aragon تاريخ وصولهم مؤكد بتاريخ المقبرة اليهودية وهي الهجرة الأولى والهامة وقد أطلق على المهاجرين اسم الشيكليين لأنهم كانوا يحملون معهم باستمرار أباً عن جد شريحة مستديرة تسمى ((شيكلا)) .[51]

وشهد القرن الخامس عشر وصول أعداد كبيرة من اللاجئين الإسبان الذين أطلق عليهم اسم ((كيبوزيين)) نسبة إلى القلنسوة التي كانوا يرتدونها والمعروفة باسم ((كابيوس)) غير أن سنة 1391 سجلت سنة هامة ليهود إسبانيا حيث وقعت مجازر

وتمسيح إجباري والتوجه للمنفى لألاف اليهود البائسين تاركين إسبانيا ومايورقة وطنهم الذي اغتنوا فيه بتجارتهم صناعتهم وعلمهم، فرارا بدينهم وأموالهم عماد ما يسمى اليهودية السفاردية [52]

كانت هذه الجاليات الاندلسية بما فيها مسلمين ويهود بمدينة الجزائر وببلاد بني حماد بصفة عامة ذوي مهارات فنية وحرفية خارقة إذ تفننوا في مجال التجارة والصناعة التي ارتقت بالفن المحلي إلى أوجه[53]، وربما أثرى هذا في الفن المحلي وارتقت الصناعات إلى صناعة متحضرة ذات طابع أندلسي [54]

وقد كان الشعر يمثل موضوع للدراسات بالنسبة ليهود إسبانيا والمهنة التقليدية هي صياغة الذهب وصك النقود، كما أنهم كانوا تجارا متخصصون في بيع وشراء البضائع.

وتشير المصادر عموما إلى أن وضعهم كان أحسن تحت حكم الأمراء المسلمين مما كان عليه في أوروبا المسيحية، فلم يكونوا ضحايا إلا في استثناءات نادرة لا اضطهاد ولا معاملة خاصة ويستطيعون التنقل بكل أمان دون خوف[55]

كما كان للنخب الاندلسية دورا كبيرا في تغيير التركيبة البشرية لمجتمع المغرب الاوسط خاصة أنهم شكلوا أحد مكوناته الاساسية[56] فقد كان للعنصر الاندلسي أثر كبير من حيث النمو الديموغرافي في تعمير البلاد ولا سيما خلال أوقات المجاعات وانتشار الامراض المعدية والاوبئة فقد تعرضت عدة مرات لانتشار الطاعون والمجاعة الامر الذي كان سببا لهلاك عدد كبير من السكان الأصليين لدرجة ان بعض المؤرخين تساءل كيف بقية مدينة الجزائر على قيد الحياة بعد الهجمات المتعددة والمروعة للطاعون

وقد اشارت بعض المصادر الغربية الى وباء فتاك ضرب المدينة وذهب بحياة ثلث السكان في ظرف عامين 1572م-1574م الامر الذي ترك الباب مفتوح امام تيار الوافدين الاندلسيين الجارف المتواصل لتعويض النقص العددي (قبل الهجرة الأخيرة)[57]

وقد حمل الاندلسيون في حقائبهم المرض الذي منه ماتت الاندلس فزادوا بلاط المغرب الاسلامي في المستوى السياسي مرضا على مرض وإن كانت هذه النظرة تنطبق إلى حد كبير على فئة العسكريين والسياسيين فبالنسبة لفئة العلماء كان دورهم كبير في إبراز العلم الاندلسي ونشر إشعاعه على الساحة الفكرية بالمغرب الاسلامي فكان منهم فئة حاولت الارتزاق بهذا العلم عن طريق الدخول إلى بلاطات المغرب أو عن طريق التعليم في المساجد والزوايا وفئة أخرى عزفت عن ذلك واتجهت كلية إلى التفرغ للتعليم وتطور ذلك إلى زهد وتصوف وذلك نتيجة التجربة المريرة التي اجتازوها في الاندلس والتي خلفت في أنفسهم اليأس والتشاؤم

وأما فئة الصناع والحرفيين فلم يطمحوا إلى مناصب سامية بقدر ما كان هدفهم ضمان موارد عيشهم لكن هذه الفئة وجدت نفسها وجها لوجه مع صناع وحرفيين تقليديين منافسين لهم مما أدى إلى وجود نوع من الصراع الاقتصادي غير أن حدته كانت تتضاءل باستمرار مع مرور الزمن [58]

وقد أحس المستوطنون الأندلسيون أول الامر بالغربة والتشتيت فتطلعوا الى لم شملهم وانضمام بعضهم الى بعض حتى يكونوا مجتمعين في السراء والضراء ففكروا في تكوين رابطة تضم كافة الاندلسيين وتكون عون لهم ولتحقيق ذلك ابتاعوا في 1623 دارا من مالهم الخاص بمساعدة بعض الموسرين الاندلسيين وبنوا زاوية عرفت بزاوية الاندلس[59]

كما حضوا بحماية من لدن السلطان العثماني الذي أمر أتباعه في شمال افريقيا بالعناية بالمنفيين الذين نزلوا على شواطئهم وقد أضحت الجماعات ((الاندلسية)) سريعة النمو في الجزائر وتطوان وفاس وغيرها من المدن فالكثير من المورسكيين وجدوا ملجأ أمن فيها[60]

إن ما عاشته المجموعة البشرية الاندلسية يعد في التاريخ مأساة إنسانية حيث وبعد ثمانية قرون من التعايش في الاندلس والتلاقح الحضاري الذي أدى إلى ميلاد

حضارة إنسانية عريقة ذات طابع إسلامي متميز كان الحقد الصليبي لها بالمرصاد حيث ما فتأ يشحذ قواه من أجل استئصال الوجود الاسلامي في الجزيرة [61]

وقد كان خنوع المسلمين وانقسامهم في وقت اتحدت قوى الصليب من أهم أسباب هذه المأساة الانسانية وإن كان الوجود المرابطي الذي أنقذ الحضارة الاندلسية من الاندثار في إيبيريا وتلاه الوجود الموحدي غير أن المرض كان قد أستشرى في نفوس الاندلسيين وحركة ما عرف في التاريخ بالاسترداد قد استفحلت ولم يعد بالإمكان توقيفها أو كبح جماح الحقد الصليبي ولم يكن للأندلسيين من حيلة غير اللجوء إلى بلاد المغرب ومنها المغرب الاوسط لعوامل عدة هربا بأرواحهم من التنكيل الصليبي في وقت كان المشرق العربي هو الاخر يعيش في ظروف مماثلة من السوء حيث كان يتعرض لحملات صليبية متعاقبة في وقت كان المغول قد أسقطوا عاصمة الخلافة العباسية بغداد وعاثوا في المشرق فسادا

وقد مثل التواجد الاندلسي في الجزائر رافدا بشريا أثرى التراث الحضاري المحلي وأضاف عنصرا جديدا للتركيبة البشرية للمجتمع تمازجت مع بقية المجموعات كانت ذات طابع حضري بنت مدن جديدة وساهمت في ازدهار أخرى.

قائمة مراجع البحث

1- الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، 92هـ-897هـ /711م-1492م، دار القلم دمشق/ بيروت، ط2، 1981/1402

2- حسين حمدي عبد المومن محمد، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1999

3- شوفاليه، كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 . 1541. ترجمة جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

4- كار ماثيو الدين والدم إبادة شعب الاندلس ترجمة مصطفى قاسم ط أولى 2013 أبو ظبي هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة

5- كولان g .s. colan ، الاندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد، كتب دائرة المعارف الاسلامية دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، طبعة أولى 1980

6- زغروت فتحي العثمانيون ومحاولة انقاذ مسلمي الاندلس 898هـ - 1015هـ / 1492م – 1609م منذ سقوط غرناطة وحتى الطرد النهائي طبعة أولى 2011 الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع مصر

ملتقيات

حنيفي هلايلي، مشروع البحرية الجزائرية في عمليات انقاذ الموريسكيون الاندلسيون خلال القرنين 16-17 ص ص 197-213 أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية المنعقد يومي 7 و8 ديسمبر 2009

مذكرات جامعية

1 - بن كردرة زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية رسالة لنيل الماجستير في الاثار الاسلامية جامعة الجزائر كلية العلوم الانسانية قسم الاثار، 1999م-2000م

2 - بولعراس خميسي، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف400 هـ 479 هـ / 1086- 1009م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر كلية الآداب والعلوم الإنسانية باتنة قسم التاريخ وعلم الآثار السنة الجامعية 1427 هـ 1428 هـ 2006 /م /2007 م

3 -سيدي محمد عمارة هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2014

دوريات

1- عزرودي نصيرة، هجرة الاندلسيين السياسية إلى المغرب الاوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7 هـ -13 م إلى القرن 8هـ -14 مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد 4 ديسمبر 2009

2- قدور عبد المجيد مجلة العلوم الإنسانية عدد 20 ديسمبر 2003 المهجرة الاندلسية الى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج ص ص180،171

بلغة أجنبية

1- BEL Alfred – EISENBETH Marice . les principales races de l'Algérie .Paris : institut de l'encyclopédie coloniale et maritime ,1937

2-Martine Ravillard, Los Moriscos en Beberia, Université d'Alger

-

[1] نصيرة عزرودي، هجرة الاندلسيين السياسية إلى المغرب الاوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7 هـ -13 م إلى القرن 8هـ - 14 مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد 4 ديسمبر 2009 ص41

[2] خميسي بولعراس ص327

[3] عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، 92هـ-897هـ /711م-1492م، دار القلم دمشق/ بيروت، ط2، 1981/1402 ص359

[4] نفسه، ص360

[5] نفسه، ص328

[6] نفسه، ص331

[7] كولان g .s. colan، الاندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد، كتب دائرة المعارف الاسلامية دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، طبعة أولى 1980، ص 132

[8] كولان، ص 132

[9] عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص333

[10] حمدي عبد المومن محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص343

[11] كولان، ص 132

[12] عبد الرحمن علي الحجي، ص 375

[13] نفسه، ص333

[14] كولان، ص135

[15] نفس المرجع والصفحة

[16] هي هضبة الثغريين los tagarinos أو les tagarins بالفرنسية تقع جنوب غرب المدينة التاريخية (أي حي القصبة حاليا) على امتداد من الباب الجديد إلى مشارف الابيار بحي السكالة وبئر طرارية ولا تزال تعرف بهذا الاسم حيث تقع بها وزارة الدفاع الوطني، مبني المكتبة الوطنية القديمة، قصر الحكومة

[17] كولان، ص137

[18] نفسه، ص135

[19] مونتغومري وات، في تاريخ إسبانيا الاسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ماي 1998، ص122

[20] عمارة، سيدي محمد، هجرة الاندلسيين الى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2014، ص ص54،55

[21] نفسه، ص57

[22] نفسه، ص71

[23] كبرى جزر البليار تقع في قلب الحوض الغربي للبحر المتوسط على نفس المسافة تقريبا بين السواحل الاسبانية والجزائرية

[24] عمارة، سيدي محمد، مرجع سابق ص43

[25] نفسه، ص44

[26] كولان، ص137

[27] نفس المرجع والصفحة

[28] عمارة، سيدي محمد، مرجع سابق، ص ص50، 52

[29] عمارة، سيدي محمد، مرجع سابق، ص47

[30] ماثيو، كار، الدين والدم إبادة شعب الاندلس، ترجمة مصطفى قاسم، ط أولى، 2013، أبو ظبي هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ص 142

[31] ماثيو كار ص148

[32] فتحي زغروت العثمانيون ومحاولة انقاذ مسلمي الاندلس 898هـ - 1015هـ / 1492م – 1609م منذ سقوط غرناطة وحتى الطرد النهائي طبعة أولى 2011 الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع مصر، ص254

[33] حنيفي هلايلي، مشروع البحرية الجزائرية في عمليات انقاذ الموريسكيون الاندلسيون خلال القرنين 16-17 ص 197-213، أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية المنعقد يومي 7 و8 ديسمبر ص 187

[34] ماثيو كار، مرجع سابق، ص147

[35] نفسه، ص466

[36] فتحي زغروت، مرجع سابق، ص262

[37] حنيفي، هلايلي، مرجع سابق ص 193

[38] فتحي زغروت، مرجع سابق، ص255

[39] حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص199

[40] نفسه، ص202

[41] حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص188

[42] رفيق خليفي الاندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط ص 131-157، أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية المنعقد يومي 7 و8 ديسمبر 2009 ص139

[43] نفسه، ص 140

[44] نفسه، ص147

[45] حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص203

[46] نفسه، ص192

[47] Martine Ravillard, Los Moriscos en Beberia, Université d'Alger, p623

[48] حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص196

[49] أي المهاجرين ومقطع (إم) في اللغة العبرية أداة جمع

[50] للاطلاع أكثر أنظر ملخص أعمال ملتقى علاقات شبه جزيرة إيبيريا مع المغرب

- Relaciones de la peninsula iberica con el magreb (siglos 13_16) actas del coloquio madrid 17-18 diciembre 1987

Vellve – jouquim la emigracion andalousi al magreb en el sieglo13(despoblacion y repoblacion en al andalous pp 87_129

Lopez de coca castaner jose enrique la emigracion andalousi 1485-1516 pp 409-451

[51] كورين، شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 . 1541. ترجمة جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991 ة ص 15

[52] السفرديم مصطلح مأخوذ من الأصل العبري استخدم ابتداء من القرن الثامن الميلادي للإشارة إلا اليهود في إسبانيا ويستخدم في الوقت الراهن للإشارة الى اليهود الذين كانوا أصلا في اسبانيا والبرتغال ثم انتشروا بعد طردهم منها في العالم الإسلامي وبخاصة في سالونيك التركية وشمال إفريقيا حتى أصبح المصطلح يعني اليهود الشرقيين أو يهود العالم الإسلامي حسب عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود وهم يتميزون بتبنيهم التقاليد البابلية عكس الأشكيناز الذين يتبنون التقاليد الفلسطينية كما انتشروا في فرنسا وهولندا (خاصة في أمستردام) وفي إنقلترا وإيطاليا وأصبحت التسمية تطلق بشكل أوسع على يهود المنطقة العربية الذين يتكلمون العربية والفارسية حتى وإن لم تكن لهم علاقة المحدار من أي منطقة أوربية وبما أنهم تبنوا التقاليد البابلية اليهودية بتأثير السفرديم فهم يدمجون باستمرار في هذه المجموعة والتي تشكل اليوم 15 % من مجمل يهود العالم وقد أصدر البرلمان الاسباني في 15 يونيو 2015 قرار يسمح لكل اليهود الذين يثبتون من طرف السلطات اليهودية انهم من السفاراد وينحدرون من اليهود الذين طردوا سنة 1492 والذين قدروا ب300000 يهودي (مع الاختلاف في الارقام) بأن يحصلوا على الجنسية الاسبانية مع احتفاظهم بجنسياتهم الحالية (شبه قرار كريميو؟؟) والغريب أن المسلمين المورسكيين يتم تجاهلهم

[53] بن كردرة زهية، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الاسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر دراسة تحليلية رسالة لنيل الماجستير في الاثار الاسلامية جامعة الجزائر كلية العلوم الانسانية قسم الاثار، 1999م-2000م، ص43

[54] نفسه، ص45

[55] Alfred BEL – Marice EISENBETH . les principales races de l'Algérie .Paris : institut de l'encyclopédie coloniale et maritime ,1937 p105

[56] نصيرة عزرودي هجرة الاندلسيين إلى المغرب الاوسط ص50

[57] عبد المجيد قدور مجلة العلوم الإنسانية عدد 20 ديسمبر 2003 الهجرة الاندلسية الى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج ص ص171،180ص175

[58] نصيرة عزرودي، مرجع سابق، ص52

[59] عبد المجيد قدور، مرجع سابق ص174

[60] ماثيو كار مرجع سابق ص474

[61] موقع www los moriscos de tuniz

مونتغومري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية ترجمة محمد رضا ألمصري شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت، ماي 1998